

علاقة التراث اللغوي العربي باللسانيات

The relationship between Arabic linguistic heritage and linguistics

شريفة شوشة¹charifa choucha¹,¹ جامعة عمار ثليجي بالأغواط (الجزائر)

البريد الإلكتروني: c.choucha@lagh-univ.dz

تاريخ النشر: 2025/06/04	تاريخ القبول: 2025/04/11	تاريخ الإرسال: 2025/01/09
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

إن التراث اللغوي العربي يعكس الثقافة والهوية الوطنية والعربية، كما أن له أهمية في تطوير وترقية البحث اللغوي ومن بين الدراسات التي أولت التراث اللغوي العربي أهمية كبيرة البحوث اللسانية من خلال اهتمامها بقضايا التراث اللغوي العربي؛ رغم التطور الذي يشهده البحث اللساني العربي الحديث إلا أنه لا يمكن إنكار أهمية التراث اللغوي العربي ومدى فاعلية استثمار معطياته في الدرس اللساني، كما لا يمكن إنكار علاقة اللسانية بالتراث اللغوي العربي، حيث نهدف من خلال بحثنا إلى كشف العلاقة بين التراث اللغوي العربي واللسانية، وكشف أثر وأهمية اللسانية في التراث اللغوي العربي، وبهذا كانت إشكالية بحثنا كما يلي: ماهي العلاقة بين التراث اللغوي العربي واللسانية وأثرها في التراث اللغوي ؟

الكلمات المفتاحية : التراث اللغوي ؛ اللغة العربية ؛ اللسانية

Abstract:

The Arab linguistic heritage reflects the national and Arab culture and identity, and it has importance in the development and promotion of linguistic research. Among the studies that have given great importance to the Arab linguistic heritage is linguistics research through its interest in the issues of the Arab linguistic heritage; despite the development of modern Arab linguistic research, it is undeniable the importance of the Arab linguistic heritage and the effectiveness of investing its data in linguistic study, and the relationship between linguistics and the Arab linguistic heritage, as we aim through our research to reveal the relationship between the Arab linguistic heritage and linguistics, and the impact and importance of linguistics on the Arab linguistic heritage, as we aim to reveal the relationship between the Arab linguistic heritage and linguistics.

What is the relationship between the Arab linguistic heritage and linguistics and its impact on the linguistic heritage?

Kays words : linguistic heritage; Arabic language; linguistics

مقدمة:

ترك علماء اللغة ارثا علميا ضخما في جميع المستويات اللغوية ، إذ إن للتراث اللغوي العربي أهمية كبيرة في الوسط اللغوي مما جعله قيد الدراسة في العديد من المجالات والعلوم الحديثة ومن أبرز هذه العلوم علم اللسانيات التي لعبت دورا هاما في إبراز مكانة التراث اللغوي العربي ، فقد عرف الدرس اللساني العربي تطورا كبيرا عند اتصال الثقافة العربية باللسانيات الحديثة ، وهذا يظهر أهمية التراث اللغوي العربي و علاقته باللسانيات، وقد كانت إشكالية بحثنا كما يلي:

ما هي العلاقة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات وأثرها في التراث اللغوي ؟

ولحل إشكالية بحثنا هذا تطرقنا إلى تعريف أهم المصطلحات المتعلقة ببحثنا من الجانب اللغوي بالإضافة إلى الإشارة إلى العلاقة الرابطة بين اللسانيات والتراث اللغوي العربي و أثر اللسانيات فيه ، وكشف أثر اللسانيات في الدرس اللغوي العربي و الإشارة إلى عقبات البحث اللساني العربي، و الحداثة و التراث، كما تعرضنا لعنصر اللسانيات العربية المعاصرة والتراث، بالإضافة إلى عنصر آخر بعنوان أهمية اللسانيات العامة في البحث اللغوي العربي ، وخاتمة تطرقنا فيها لأهم النتائج المتوصل إليها.

ويجدر بنا في البداية تعريف أهم المصطلحات المتعلقة ببحثنا لغويا، ومبين الكلمات المتعلقة ببحثنا كلمة ارث، وقد جاء تعريفها في معجم الوجيز كما يلي:

أولا: تعريف مصطلح إرث: جاء في مادة (أَرَثَ) :

(الإرثُ) : بَقِيَّةُ الشَّيْءِ .

و : - الميراث ، و - : الأمرُ القديمُ توارثه الآخرُ عن الأول.¹

ثانيا: تعريف مصطلح اللسان: أما مصطلح اللسان فقد جاء في مادة " لَسَنَ " : اللسان عضلة مستطيلة تتحرك في الفم عند الكلام ومضغ الطعام، بها يكون التذوق والبلع (ج) ألسنة ، و ألسن و- : اللغة وفي القرآن الكريم : فإنما يسرناه بلسانك) و- شريط ضيق من اليابس يمتد في البحر ، و- البحر الثناء. يقال لسن الناس عليه حسنة وفي القرآن الكريم (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) ثناء حسنا باقيا و(لسان القوم المتكلم منهم) لسان الحال) ما يدل على حال الشيء وكيفيته دون تعبير.²

ثالثا: تعريف مصطلح اللغة: بينما نجد مصطلح اللغة في مادة (لغا) معرفا كما يلي:

لغا في القول - لغوا: أخطأ وقال باطلا .. ويقال :لغا فلانلغوا: تكلم باللغو.. ولغا بكذا تكلم به و- عن الصواب ، وعن الطريق: مال عنه . و - الشيء: بطل الشيء (ألغى) الشيء أبطله ، ويقال ألغى من العدد كذا أسقطه. (استلغأه) : طلب إليه أن يتكلم.

(اللغة) : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (ج) لُغات ويقال : سمعت لغاتهم اختلاف كلامهم (اللغو): ما لا يعتمد به من كلامٍ وغيره ولا يحصلُ منه على فائدة ولا نفع. و- : الكلام يبدون من اللسان ولا يراد معناه، ومنه اللغو في اليمين، وهو ما لا يعقد عليه القلب، مثل قول القائل : لا والله ، وبلى والله.³

وعند اطلاعنا على موضوع اللسانيات عند جان بيرو نجد أنه حدد موضوعها بالشكل التالي:

1-موضوع اللسانيات: إن موضوع اللسانيات هو الدراسة العلمية للغات. فهي ترى في التحليلات التي

هي اللغات ، ظاهرة متعددة الجوانب، اللسان.⁴

وقد أشار أحمد محمد قدور من خلال كتابه " اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي " إلى علاقة التراث اللغوي العربي باللسانيات وأهميته الكبيرة في الدراسات اللغوية الحديثة حيث قال: ولا شك في أنّ ظهور اللسانيات أو علم اللغة (Linguistique) في درسنا اللغوي والنقدي كان عاملاً من عوامل الانبعث، على الرغم مما شابه من خلط وتعميم وسوء تقدير. ولكن إذا تجاوز المرء ما دار من عراك بين دارسينا حول اللسانيات وتوظيفها، وعلاقتها بعلوم اللغة عندنا، فإنه يقف على آثار لا تنكر تجلّت في إعادة النظر في الكثير من القضايا اللغوية لدى جمهرة كبرى من الباحثين يستوي في ذلك الذي أقرّ بفضل اللسانيات، أو الذي أنكر. ويطول⁵ بنا المقام لو رحنا نتحدث عن آثار اللسانيات في درسنا اللغوي والنقدي تفصيلاً. لكن الوفاء بمتطلبات هذه المقدمة يقتضي منا أن نشير إلى أن هذه الآثار قد اتخذت ثلاثة مناح كبرى ينطوي تحتها الكثير من الأمثلة، هي:

أ- الاتصال، وهو أمر بديهي أحدثته العلاقات العلمية الواسعة منذ منتصف القرن العشرين، وتجلّى في تحديد مناهج الدراسة، وإدخال أفكار علمية مقتبسة من اللسانيات أو الفيلولوجية في الدرس العربي الخالص الذي اكتسب الكثير من المصطلحات الجديدة والمقولات التصنيفية.

ب- التحديث، وهو أثر جلبه القصد والدرس الموجه لتشكيل علوم لغوية عربية حديثة، قوامها المعطيات القديمة، والأطر العلمية والإيستيمولوجية الحديثة، نحو: علم الدلالة، وعلم المعجم، وعلم المصطلح، وعلم الأصوات وعلم اللغة العربي أو اللسانيات العربية

ج-الإضافة، وهي استعداد خالص مادة ومنهجاً، احتلّ مواقع جديدة في الدرس اللغوي باللغة العربية، فانضمّ معظمه إلى شجرة علومها، وإن كان أجنبياً مقترضاً، إذ صار في بوتقة تعريب العلوم عربياً أو كالعربي، نحو علم اللغة المقارن وفروعه كعلم اللغات السامية المقارن، وعلم اللغة التقابلي، وتاريخ علم اللغة العالمي، وعلم اللغة

العام، ونحو ذلك كعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الجغرافي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة الحاسوبي، وعلم أمراض الكلام وفن الترجمة، وفن صناعة المعجم، وفن تعليم اللغات، وغير ذلك.

وواضح أن هذا التصنيف يستند إلى أمرين هما: تسمية الأشياء بأسمائها، ودان مصادرها الأصلية، دون عقد نقص أو نوازع استعلاء. ورغد درسنا اللغوي والنقدي وإغناؤه، وبذ مسالك الإلغاء والبت أو الاستهجان وسوء الفن ولا يدعي هذا التصنيف أي حسم قاطع للعلاقة التي ما زالت تترجح في الكثير من الجوانب بين علومنا العربية واللسانيات مما يدعو إلى إعادة النظر، وتقليب الأمور على أكثر من وجه.⁶

حيث أشار أحمد محمد قدور عن علاقة اللسانيات بالتراث اللغوي العربي من خلال إبراز أثر اللسانيات في درسنا اللغوي، و ذلك بالإشارة إلى ثلاثة مناح كبرى أولها الاتصال وإدخال أفكار علمية مقتبسة من اللسانيات في الدرس العربي الخالص الذي اكتسب الكثير من المصطلحات الجديدة، والتحديث ومن خلال لتشكيل علوم لغوية عربية حديثة، قوامها المعطيات القديمة، منها: علم الدلالة، وعلم المعجم، وعلم المصطلح، وعلم الأصوات وعلم اللغة العربي أو اللسانيات العربية، بالإضافة وهي استعداد خالص مادة ومنهجاً، احتلّ مواقع جديدة في الدرس اللغوي باللغة العربية، ومن بين أبرز الإضافات تعريب العلوم عربياً أو كالعربي، نحو علم اللغة المقارن وفروعه كعلم اللغات السامية المقارن، وعلم اللغة التقابلي، وتاريخ علم اللغة العالمي، وعلم اللغة العام، ونحو ذلك كعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الجغرافي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة الحاسوبي، وعلم أمراض الكلام وفن الترجمة، وفن صناعة المعجم..... إلخ، وهذا يدل على العلاقة الوطيدة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات وأهميتها فيه من خلال استغلال معطياته، والأثر الكبير الذي أحدثته اللسانيات في الدرس اللغوي العربي .

وقد واجه البحث اللساني العربي العديد من العقبات، وقد أشّر إليها عبد السلام المسدي من خلال كتابه " اللسانيات و أسسها المعرفية " فيما يلي:

2- عقبات البحث اللساني العربي:

في الوقت الذي يتزود فيه طالب الجامعات المتطورة بحظ وفير من الدراسات اللسانية سواء أ تخصص في آداب لغة من اللغات أم في فرع آخر منفروع العلوم الإنسانية كالتاريخ و الفلسفة وعلم الاجتماع مما جعل التكوين اللساني عنصراً قاراً في برامج الجامعات المتقدمة ، وفي حين أسس كثير من الكليات إجازة خاصة باللسانيات يقتحمها

الطالب باعتبارها تخصصا متكاملا طيلة مدارج التعليم العالي فالتحقت بصنيعها هذا علم اللسان بمرتبة اللم الكلي و المعرفة الشاملة فتخلص نهائيا من احتكار الأقوام الذين عرف بينهم أصل نشأته.

بينما اقتضت الثورة اللسانية من الجامعات أن تُمد طلبتها في العلوم الإنسانية بحدّ أدنى من العلوم الدّقيقة: بينما يعاين المرء كلّ ذلك ، يلاحظ باستغراب وحيرة تخلف ركب الفكر العربي في حلبة علوم اللسان، وقد كان يهون أن نبقي مقصرين في ميدان وضع النظريات اللّسانية وابتكار المناهج الاختبارية فيها لو أننا على الأقل قد نشطنا إلى توفير الثقافة اللسانية في جامعتنا ومؤسساتنا العلمية، لكن جوهر القضية يكمن في أن درجة وعينا بخطور علوم اللسان هي نفسها ما زالت في خطاها الأولى، وليست هذه الظاهرة مقصورة على رجل الأدب أو رجل الثقافة العامة بما أننا نتكبد المشاق أحيانا لنقنع رجال العلم وركائز الجامعات حتى يعطوا اللسانيات جواز سفرها إلى حقل الإجازة في الآداب العربية.⁷

ولا نقصد بما قلنا انعدام البحث اللساني في العالم العربي كيف وكثير من مراكز البحث ومؤسسات التدريس قد بعثت لهذا الغرض بالذات منذ سنوات، بل إن بعض الجامعات العربية قد بادرت بإدراج مادة اللسانيات ضمن برامجها خاصة في أقسام اللغة العربية ولكن نقصد انعدام إشعاع الفكر اللساني في وطننا العربي.

و أول ما قد يلوح لنا عائقا أمام نهضة الإشعاع اللساني في الوطن العربي سبب غريب الشأن ، يكاد ينطق بالتناقض، ألا وهو اكتمال علوم اللغة عند العرب.

وفعلا فإننا -أبناء العربية- نستجمع إرثا لغويا هو من أغزر ما تخلفه الأحقاب الحضارية لمن بعدها، ويكاد يجزم الناظر بأن العرب بين قديمهم وحديثهم قد أتوا كليا على لغتهم جمعا و تمحيصا ثم دراسة وتنظيما حتى عدّت علوم اللغة مضرب الاكتمال.⁸

فعن هذا الواقع الحضاري المعرفي نشأت لدى العربي رؤية من القداسة تجاه لغته التّوعية وتجاه عملية درس اللغة ذاتها كما نشأ سيلج من المخطورات ترسخت بموجبه عقد الاستغناء، فكأنما حال العربي اليوم تقول : أفإن الرضينا أننتجى إلى غيرنا في علوم اللغة على من سوانا؟

ويتمثل العائق الثاني في أن كثيرا من رجال البحث ورواد الفكر وركائز الجامعات قد ظلّ تصورهم للسانيات محصورا كليا أو جزئيا بحقل الصّوتيات و علم الأصوات في مختلف فروعهِ : التّشريحية منها و التّعاملية والوظيفية وإن كان

له حظ السبق في التبلور و مقارنة الصياغة العلمية الصارمة ، فقد تبين أنه يقصر عن أن يكون المفتاح الرئيسي لإدراك نواميس البحث اللغوي وبلوغ محركات الظاهرة الكلامية في نسيجها المتفاعل عضويا مع مقولة الإنسان : متكلم بالغة و مفكرا فيها.. ولقد صادف أنّ جانب الأصوات قد كان أدقّ ما ضبطه العرب في علومهم اللغوية.⁹

ومن أخطر ما عاق ازدهار الوعي اللساني في أوساطنا العلمية معركة الوصفية والمعيارية في المعرفة اللغوية ، بل على وجه التحديد ما لابسها من خلط منهجي وتحريف مبدئي تولدت عنهما مجموعة من المشاكل الزائفة أربكت دعاة المعيارية وأرهقت أنصار الوصفية فاستنزفت طاقات من هؤلاء وأولئك وقد ساهم في خلق عقدة الإشكال كل من اللسانيين دعاة الوصفية ، وفقهاء اللغة دعاة المعيارية فلا أنصف العربية من ظنوا أنهم حراسها ولا خداماللسانيات من انبروا روادا لها.¹⁰

وقد أشار عبد السلام المسدي إلى أهم العوائق المتعلقة بالبحث اللساني العربي ،ومن بينها اكتمال علوم اللغة عند العرب ، أما العائق الثاني فقد تمثل في تركيز على الصوتيات ، فرجال البحث في الجامعات قد ظلّ تصوّروهم للسانيات محصورا كليا أو جزئيا بحقل الصوتيات و علم الأصوات في مختلف فروعهم، ولقد صادف أنّ جانب الأصوات قد كان أدقّ ما ضبطه العرب في علومهم اللغوية، ومن أبرز العوائق ومن أخطر ما عاق ازدهار الوعي اللساني في أوساطنا العلمية معركة الوصفية والمعيارية في المعرفة اللغوية.

ولتوضيح العلاقة الكامنة بين اللسانيات والتراث اللغوي العربي يجدر بنا الإشارة إلى الرابط بين التراث والحداثة ، وهذا ما أشار إليه عبد السلام المسدي فيما يلي :

3- الحداثة والتراث: إن الفكر الغربي قد شقّ طريقه من المعاصرة إلى الحداثة دون قفز مولّد للقطيعة، وقد تسنّى له ذلك بفضل انصهار المادة والموضوع في تفكير رواده العلمانيين فكان الصراع المنهجي خصيبا إلى حدّ الطفرة أحيانا . ولكن المنظور العربي ما زال يتصارع والحداثة من حيث هي موقف مبدئي ، وإذا كانت مقولتها قد أربكت الفكر الفلسفي المعاصر في تنقيبه عن وحدوية العقل البشري منذ كان لنا عنه توثيق ، وزحزحت قواعد الخلق الفكري وأركان النقد والتقييم حتى غدا اللحن صوابا والكسرُ جبرا واللائنظام بناءً فإن القضية أشد تعقدا عند العرب اليوم لأنها أشد ملابسة لهم في تحسسهم سبل الحداثة، وأبعد تعلقا بمشاغل اتصالهم بغيرهم أو انفصالهم عنه ، بل إنّ مقولة الحداثة عند العرب اليوم أغزر طرافة

وأكثر إحصاباً إذ تنزل لديهم متفاعلة مع اقتضاء آخر يقوم مقام البديل في التفكير المعاصر ، وهذا الاقتضاء مداره قضية التراث من حيث هو يدعوهم اليوم إلى « قراءته » - على حد عبارة المنهجية الراهنة - ومعنى ذلك أن العرب يواجهون تراثهم لا على أنه ملك حضوري لديهم ، ولكن على أنه ملك افتراضي يظل بالقوة ما لم يستردوه . واسترداده هو استعادة له ، واستعادته حملُهُ على¹¹ المنظور المنهجي المتجدد وحمل الرؤى النقدية المعاصرة عليه ، حتى لكأن الاستعادة عند العرب اليوم مقولة قائمة بنفسها تكاد لا تعرف وجوداً عند سواهم على النحو الذي هي عليه عندهم ، ومن رام الوقوف على القواعد التأسيسية في هذه المقولة كفاه النظر في غائيتها وهي فك إشكالية الصراع بين القديم والجديد، فمقولة الاستعادة تنفي الديمومة إذ هي تكسير الزمن.¹²

ومن خلال ما سبق نجد أن عبد السلام المسدي أشار إلى إشكالية الصراع بين القديم والجديد، والدعوة إلى ضرورة قراءة التراث اللغوي.

كما أن هناك علاقة وطيدة بين اللسانيات العربية المعاصرة و التراث اللغوي العربي ، وهذا ما أشار إليه سعد عبد العزيز مصلوح من خلال كتابه " في اللسانيات العربية المعاصرة دراسة ومثاقفات " ،وهي كما يلي:

4- اللسانيات العربية المعاصرة والتراث:

كان الظن باللسانيات المعاصرة بما هي علم وافد أن يزيدنا علماً بتراثنا اللغوي، وأن يزودنا بتقنيات منهجية ضابطة تعيننا على الكشف والتحليل . ومن الطبيعي أن يكون التراث هو ميدان المعركة الأول بين حاملي العلم الوافد والذين يعدون أنفسهم سدنة التراث وحماة. كما أن هذا الميدان كان هو الميدان الوحيد الذي يمكن فيه للسانيات الحديثة أن تثبت جَدَّها في حل الإشكالات، وتفسير الغوامض والتماس العلل لكل ما قصرت وسائل البحث التقليدية عن القيام به ، وليس بالشيء القليل ما قام به الرواد اللسانيون الأوائل في هذه السبيل، فلقد وضع النحو العربي التقليدي موضع المساءلة الجادة، ونفض الغبار عن كنوز من الملاحظات والمقولات والتحليلات في كتب التراث القديم عاجلت اللغة صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالة وبياناً، وأتى ذلك كله أكله عند بعضهم في صورة مشروعات علمية متكاملة تشكلت سماتها بالمزاوجة بين العلم الأصيل والعلم الوافد. بيد أننا إذا جاوزنا جيل الرواد بحديثنا طالعنا¹³ صورة متداخلة الخطوط والألوان، لا تكاد تستبين ملامحها للمتأمل ، واستعلنت مظاهر السلب التي بسطنا القول فيها لتدخل ضروباً من الخلط والفساد على إيجابيات التلاحق والمثاقفة بين اللسانيات والتراث،

ولا بد لهذا القول من بيان نسوقه على سنة الاختصار . ولا ريب أن التراث والمعاصرة من المفاهيم المشكلة التي لا تُسلم نفسها للتحديد في يسر وإسماح. وإذا صلح معيار الزمان لوضع بداية معروفة تؤرخ لانعقاد العلاقة بين المعاصرين والعلم الوافد فإن هذا المعيار لا يصلح بحال لأن يكون مستندنا في تعريف التراث، ذلك أن التراث ليس منظوفاً بالزمان الماضي، ولكنه فاعلية مستمرة تتصل بالماضي بأوثق الأسباب، وتسهم في تشكيل ملامح الحاضر، بل إن طائفة لا يستهان بها من بني قومنا تريد له أن يكون المرجعية المعتبرة في صياغة المستقبل. لذلك ربما كان من الأوفق أن نميز بين وجهتين في النظر للتراث، أما إحداها فالنظر إليه متجلياً في العربية بما هي مادة موضوعة للدرس ووعاء للمنجز الثقافي العربي الإسلامي منذ النشأة المجهولة للغة إلى الظرف التاريخي المعاصر. وأما الأخرى فالنظر إليه متجلياً في المنجز اللساني الذي تحقق على يد أعلام يحتلون مكاناً متميزاً في تاريخ الفكر اللساني الإنساني، من أمثال الخليل وسيبويه وابن جني والجرجاني والسكاكي.¹⁴

والظاهر أن نجاح اللسانيات العربية المعاصرة في معالجة المجال المعرفي للتراث هو - على ما شابه ويشوبه من ضروب القصور والتقصير - أكثر جهرًا واستعلاناً؛ فلقد شملت المراجعة اللسانية المكتبة الصوتية والقراءات القرآنية والنشاط المعجمي، كما جرى استنطاق كثير من نصوص الكتاب والمقتضب وسر الصناعة والخصائص، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ومفتاح العلوم ورسائل ابن سينا و«الفارابي وغير هؤلاء وأولئك من عيون التراث».¹⁵

وقد أشار سعد عبد العزيز مصلوح إلى العلاقة بين اللسانيات المعاصرة والتراث من خلال اشتغال الدراسات والمراجعات اللسانية للمكتبة الصوتية و القراءات القرآنية والنشاط المعجمي، كما اهتمت اللسانيات قراءة واستنطاق العديد من النصوص الموجودة على كتب التراث منها كتاب الخصائص و دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة... إلخ

فمن موقع الدّراسة اللسانية المعاصرة - في تبلورها وتركزها على شمول الظاهرة اللغوية وبمنظور الحداثة في البحث والاستنباط ، وفي ضوء مقولة التراث عموماً يتنزل بحثنا عن النظرية اللغوية عند العرب . لا من حيث هي تقنيات نحويّة وصرفية وبلاغية ومعجمية ، وإنما من حيث هي تنظير للظاهرة اللسانية عموماً ، ارتكز على تسييج تفكير العرب في لغتهم أولاً وبالذات ثم في الكلام باعتباره نظاماً إبلاغياً مميزاً للإنسان بوجه عام.¹⁶

وقد حدد لنا عبد السلام المسدي نوعية الدراسة اللسانية العربية حيث قال: ولما كانت نوعية بحثنا « قراءة في التراث » فأننا اعمدنا بموجب قواعد القراءة إلى اعتبار هذا الموروث الحضاري مادة خاما متجمعة في لحظة البحث على الأقل، وذلك بُغية فكّ تركيباته وتحسّس أركان منظومته ونسيج علاقته. وعن هذه الوجهة في البحث نتجت مصادرات أخرى أهمها :

أن هذا التراث مقصود بذاته ولذاته حتى إذا ما جلونا خصائصه نطق بنفسه عن مضامينه النوعية. وقراءتنا للتراث اللغوي في الحضارة العربية وإن حصلت وتكاملت بفضل مقولات اللسانيات المعاصرة فأننا قد حرصنا - ما وسيعنا الحرص - على تحاشي التعسف في الاستنتاج ، والاعتباط في التأويل ، فأعرضنا جوهريا عن كل مقارنة صريحة أو تقريب تخميني بين نظريات العرب القدامى ونظريات اللسانيين المحدثين حتى إذا ما قرئ بحثنا - في نصه أو منقولاً لم يلتبس أمره على قارئه : أهو فكر الحضارة العربية خالصا أم هو اصطناع لها وتقول عليها أملاهما جموح الحداثة الفلسفية.¹⁷

ومن خلال ما سبق نجد أن عبد السلام المسدي أشار إلى العلاقة بين التراث اللغوي واللسانيات المعاصرة من خلال تحديد موقع الدراسة اللسانية المعاصرة - في تركيزها على شمول الظاهرة اللغوية وبمنظور الحداثة في البحث والاستنباط ، وفي ضوء مقولة التراث عموما يتنزل بحثنا عن النظرية اللغوية عند العرب، ووضح أن قواعد القراءة تعتمد على اعتبار هذا الموروث الحضاري مادة خاما متجمعة في لحظة البحث على الأقل، وذلك بهدف فكّ تركيباته وتحسّس أركان منظومته، كما أشار إلى أن هذه الوجهة في البحث نتجت عنها مصادرات أخرى من أهمها أن هذا التراث مقصود بذاته ولذاته بمضامينه النوعية. وقراءة التراث اللغوي في الحضارة العربية وإن تكاملت بفضل مقولات اللسانيات المعاصرة فيجب قد الحرص على تحاشي التعسف في الاستنتاج ، والاعتباط في التأويل ، لذلك يجب الإعراض جوهريا عن كل مقارنة صريحة أو تقريب تخميني بين نظريات العرب القدامى ونظريات اللسانيين المحدثين، وهذا يدعونا إلى كشف العلاقة التكاملية بين التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة و أثر اللسانيات المعاصرة في تحقيق التكامل في التراث العربي القديم .

وقد أشار حافظ إسماعيلي علوي من خلال كتابه "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة " إلى العلاقة بين التراث اللغوي العربي و اللسانيات فيما يلي: تتنزل قراءة التراث اللغوي العربي في ضوء اللسانيات منزلة ذات بُعد حضاري، تقوم على أساس استرداد هذا التراث لبريقه بحمله على المنظور الجديد في محاولة جادة لتأسيس الحاضر والمستقبل على أصول الماضي، وتأصيل البحث اللساني المعاصر في الظاهرة اللغوية العربية، أو بعبارة أخرى البحث

في أصول الفكر العربي وإقامة لجينالوجيا هذا الفكر. وبهذا المعنى وحده يبرز الاهتمام بالتراث، وبه يصبح التراث معاصراً لنا.¹⁸

ومما سبق نستنتج أن حافظ اسماعيل لخص العلاقة بين اللسانيات والتراث اللغوي والعربي من خلال الاهتمام بالتراث اللغوي العربي من خلال تأصيل البحث اللساني المعاصر انطلاقاً من التراث اللغوي بحمله على المنظور الجديد من خلال تأسيس الحاضر والمستقبل على أصول الماضي، وهذا يدل أن اللسانيات المعاصر انطلقت من التراث اللغوي العربي وأولته اهتماماً كبيراً.

بينما أشار أحمد المتوكل من خلال كتابه " المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد " من خلال حديثه عن الصلة بين التراث اللغوي العربي و الدرس اللساني الوظيفي الحديث كما يلي:

لا ندري إذا كان للدرس اللساني الوظيفي الحديث نشأة وتطوراً صلة بالتراث اللغوي العربي. لا ندري بتعبير آخر، إذا كانت هذا الدرس جذور عربية إلا أنه من الممكن في جميع الأحوال أن تنظر إلى التراث، بحكم مفاهيمه ومطلقاته وأهدافه، على أنه حقبة هامة من تطور الفكر اللغوي الإنساني في توجهه الوظيفي. فيما يخص البحث اللساني الوظيفي العربي، نعلم جميعاً أن التراث اللغوي يشغل حيزاً معيناً في معرفة كل لساني عربي بل كل مثقف عربي.

هذا المخزون يحصل التعامل معه في اتجاهين:

(أ) - إما أن يكون حاضراً في تحصيل المعارف اللسانية الحديثة؛

(ب) - أو أن يُرجع إليه على سبيل تأصيل ما اكتسب من هذه المعارف

صلة التراث اللغوي بالنسبة للوظيفيين العرب، إذن، صلة مباشرة سواء أكانت أصلاً أو نتيجة تأصيل.¹⁹

ومن خلال ما سبق نستنتج أن أحمد المتوكل لا يجزم بوجود صلة بين التراث اللغوي العربي و البحث اللساني الوظيفي لكنه يؤكد على أهمية التراث باعتباره حقبة هامة من تطور الفكر اللغوي الإنساني. أما البحث اللساني الوظيفي العربي له علاقة بالتراث اللغوي حيث يحتل مكانة هامة في معرفة كل لساني عربي.

5- أهمية اللسانيات العامة في البحث اللغوي العربي:

كما أشار مصطفى غلفان من خلال "اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين" عن أهمية اللسانيات العامة في البحث اللغوي العربي كما يلي:

تفيدنا اللسانيات العامة كثيرا في وضع المعجم (العربي) الحديث. إنها تمكننا مثلا من التمييز بين صناعة المعجم وبين علم المفردات المعجمية. فالأولى عريقة تعتمد مناهج مختلفة في جمع مادة اللغة ووضعها أو ترتيبها، والثانية تهدف إلى دراسة المعجم دراسة علمية نظرية وتطبيقية تتعلق بتقديم المداخل حسب وحدات معجمية وأخرى تركيبية معرفة تعريفاً ينتسب إلى إحدى النظريات الدلالية وما لها من صلة بقضية المدلول والدال.

وللسانيات أيضا أهميتها النظرية والمنهجية في تحديد طبيعة التعاريف التي يقدمها المعجم للمفردات : فهي تعاريف منطقية أم اصطلاحية أم لغوية؟ كما تفيدنا اللسانيات العامة في تحليلها لبعض الظواهر المعجمية الهامة كالمشترك اللفظي والمشارك المدلولي (sens) وعلاقتهما بالمحور الاستبدالي والترادف الجملي Paraphrase والتمييز بين دلالة الكلمة ومعناها (Signification) وتزودنا اللسانيات بمعلومات نظرية ومنهجية حول دور اللغة الوصفة وأهميتها في تحديد مداخل المفردات. والفرق بين الوجهة الآنية والوجهة التعاقبية في تحديد معاني المفردات ، كما إن العمل المعجمي لم يعد يقتصر في عصرنا الراهن على جمع أكبر عدد من المفردات و شرحها استنادا إلى قواميس قديمة وحديثة وإعادة ترتيب كل ذلك إن هذه العملية لا تخلف سوى تراكم في القواميس نفسها . أما مشروع تيسير النحو العربي الذي ساندته المجمع، فإنه لم يكن بعيدا في جوهره من الأفكار النحوية العربية القديمة. إن المشروع لم يأخذ بعين الاعتبار ما وصل إليه بحث اللساني من نتائج نظرية ومنهجية في دراسة الجملة، إذ ظل النحو العربي في مشروع «التيسير» «نحو» «أبواب وليس (نحو) جملة»، كما لم يكن المشروع شموليا، وإنما جاء جزئيا، والسبب في ذلك يرجع إلى أنه لم يجرؤ أحد على إصلاح النحو إصلاحا منظما، لأن الإصلاح الشامل الذي يتناول مسألة النحو كاملة يعتبر الإصلاح الوحيد الكفيل بإبراز نتائج مثمرة علما بأن المسائل النحوية مرتبطة.²⁰

وقد أشار مصطفى غلفان إلى أهمية اللسانيات العامة و فائدتها في وضع المعجم (العربي) الحديث. حيث قال: إنها تمكننا مثلا من التمييز بين صناعة المعجم وبين علم المفردات المعجمية ، كما تساعدنا اللسانيات أيضا في تحديد طبيعة التعاريف التي يقدمها المعجم للمفردات : فهي تعاريف منطقية أم اصطلاحية أم لغوية ، بالإضافة إلى دورها في تحليل بعض الظواهر المعجمية الهامة كالمشترك اللفظي والمشارك المدلولي، والتمييز بين دلالة الكلمة

ومعناها، وأما في خصوص مشروع تيسير النحو فإنه لم يأخذ بعين الاعتبار ما وصل إليه بحث اللساني من نتائج نظرية ومنهجية في دراسة الجملة، إذ ظل النحو العربي في مشروع التيسير نحو أبواب وليس (نحو) جملة.

خاتمة:

في ختام بحثنا نستنتج أن لللسانيات علاقة وطيدة بالتراث اللغوي العربي وذلك باعتباره العامل الأساسي لرقى و تطوير البحث اللساني العربي المعاصر، كما أن لللسانيات أثر و أهمية كبيرة في البحث اللغوي العربي ، حيث يؤثر كل منهما في الآخر ويساهم في تطويره ، وتظهر العلاقة بين اللسانيات و التراث اللغوي العربي من خلال النقاط التالية:

- يظهر أثر اللسانيات في درسنا اللغوي من خلال ثلاثة اتجاهات رئيسية، وهي كما يلي:
- وتمثلت أول نقطة في الاتصال: وإدخال أفكار علمية مقتبسة من اللسانيات في الدرس العربي الخالص الذي اكتسب الكثير من المصطلحات الجديدة.
- أما النقطة الثانية فقد تمثلت في التحديث: من خلال لتشكيل علوم لغوية عربية حديثة، قوامها المعطيات القديمة، منها: علم الدلالة، وعلم المعجم، وعلم المصطلح، وعلم الأصوات وعلم اللغة العربي أو اللسانيات العربية... إلخ.
- أما النقطة الثالثة الإضافية: وهي استعداد خالص مادة ومنهجاً، احتلّ مواقع جديدة في الدرس اللغوي باللغة العربية، ومن بين أبرز الإضافات تعريب العلوم عربياً أو كالعربي، نحو علم اللغة المقارن وفروعه كعلم اللغات السامية المقارن، وعلم اللغة التقابلي، وتاريخ علم اللغة العالمي، وعلم اللغة العام، ونحو ذلك كعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الجغرافي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة الحاسوبي، وعلم أمراض الكلام وفن الترجمة، وفن صناعة المعجم..... إلخ، وهذا يدل على العلاقة الوطيدة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات و أهميتها فيه من خلال استغلال معطياته، والأثر الكبير الذي أحدثته اللسانيات في الدرس اللغوي العربي .
- كما تبرز العلاقة بين اللسانيات و التراث اللغوي العربي من خلال النقاط التالية:
- تبرز العلاقة بين اللسانيات المعاصرة والتراث من خلال اشتغال الدراسات والمراجعات اللسانية للمكتبة الصوتية و القراءات القرآنية والنشاط المعجمي ..
- يكمن الاتصال بين اللسانيات و التراث اللغوي العربي من خلال قراءة واستنطاق العديد من النصوص الموجودة على كتب التراث منها كتاب الخصائص و دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة... إلخ

- تكمن العلاقة بين البحث اللساني المعاصر والتراث اللغوي من خلال تأصيل البحث اللساني المعاصر انطلاقاً من التراث اللغوي بحمله على المنظور الجديد من خلال تأسيس الحاضر والمستقبل على أصول الماضي، وهذا يدل أن اللسانيات المعاصرة انطلقت من التراث اللغوي العربي وأولته اهتماماً كبيراً.
- تكمن أهمية اللسانيات العامة في البحث اللغوي العربي من خلال ما يلي:
- فائدتها في وضع المعجم (العربي) الحديث. إنها تمكننا مثلاً من التمييز بين صناعة المعجم وبين علم المفردات المعجمية، و تحديد طبيعة التعاريف التي يقدمها المعجم للمفردات : أهى تعاريف منطقية أم اصطلاحية أم لغوية .
- و دور اللسانيات في تحليل بعض الظواهر المعجمية الهامة كالمشترك اللفظي والمشارك المدلولي، والتمييز بين دلالة الكلمة ومعناها.
- و جهود اللسانيات في تيسير النحو مع أنه لم يأخذ بعين الاعتبار ما وصل إليه بحث اللساني من نتائج نظرية ومنهجية في دراسة الجملة، إذ ظل النحو العربي في مشروع التيسير نحو أبواب وليس (نحو) جملة.
- الدعوة إلى ضرورة قراءة التراث اللغوي للقضاء إشكالية الصراع بين القديم والجديد.

توصيات:

- إعادة النظر في التراث العربي وإبراز مكانته في الدراسات اللغوية
- ضرورة تفعيل النصوص التراثية في الدراسات اللسانية الحديثة و المعاصرة
- إبراز دور التراث اللغوي في تطوير الدراسات اللغوية
- إبراز مكانة اللسانيات في الدراسات اللغوية
- إبراز دور اللسانيات العامة في الدراسات اللغوية العربية
- استغلال التراث العربي في تطوير الدراسات اللسانية العربية
- ضرورة الاستفادة من الدراسات اللسانية الأفكار العلمية و تفعيلها في التراث العربي القديم
- ضرورة ضبط المصطلحات اللسانية وتكييفها مع التراث اللغوي القديم
- استغلال مجهودات الدراسات اللسانية الحديثة لحل اشكاليات التراث العربي

- تشكيل فرق لسانية لتأصيل التراث العربي وقراءته والانطلاق من خلاله في بناء نظريات لسانية حديثة واستغلاله في تطوير البحث اللساني.

- ضرورة العناية بالتراث واستثماره في ترقية البحوث اللسانية

الهوامش:

- ¹ - مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، مصر، 1994، ص11.
- ² - نفسه، ص 556..
- ³ - نفسه، ص560.
- ⁴ - جان بيرو، اللسانيات، ترجمة: الحواس مسعودي ، مفتاح بن عروس، دار الآفاق، ص01.
- ⁵ - أحمد محمد قدور اللسانيات و آفاق الدرس اللغوي، دار الفكر دمشق، 2001م، ص07.
- ⁶ - نفسه، ص08
- ⁷ - عبد السلام المسدي، اللسانيات و أسسها المعرفية، المكتبة الفلسفية ، الدار التونسية للنشر، ص11-12
- ⁸ - نفسه، ص12.
- ⁹ - نفسه، ص13.
- ¹⁰ - نفسه، ص13- 14
- ¹¹ - نفسه، ص11

- ¹² - نفسه، ص 12
¹³ - سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة دراسة ومثاقفات، عالم الكتب، ط 1، 2004، ص 28.
¹⁴ - نفسه، ص 29.
¹⁵ - نفسه، ص 29- 30
¹⁶ - عبد السلام المسدي اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 33.
¹⁷ - نفسه، ص 38
¹⁸ - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2009م، ص 131.
¹⁹ - أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان الرباط، ط 1، 2006م، ص 213.
²⁰ - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، الدار البيضاء، ط 1، 2006، ص 127.

قائمة المصادر والمراجع:

1. مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، الدار البيضاء، ط 1، 2006.
2. مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، مصر، 1994.
3. أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان الرباط، ط 1، 2006م.
4. حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2009م.
5. سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة دراسة ومثاقفات، عالم الكتب، ط 1، 2004.
6. عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، المكتبة الفلسفية، الدار التونسية للنشر،
7. جان بيرو، اللسانيات، ترجمة: الحواس مسعودي، مفتاح بن عروس، دار الآفاق..
8. أحمد محمد قدور اللسانيات و آفاق الدرس اللغوي، دار الفكر دمشق، 2001م.